بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النازعات

وهي سورة مكية، تبدأ بقول الله عز وجل:

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝٥﴾

هذا قسم من الله عز وجل بالملائكة، ومعناه: أقسم بالملائكة ﴿النَّازِعَاتِ﴾ التي تنزع الأرواح من الأجساد، ﴿غَرْقًا﴾ أي: نزعًا تامًّا، بكل شدة.

﴿وَالنَّاشِطَاتِ﴾ أي: الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد، ﴿نَشْطًا﴾ أي: بسهولة ويسر.

﴿وَالسَّابِحَاتِ﴾ في الفراغ؛ لتنفيذ أمر الله، ﴿سَبْحًا﴾ مسرعين، كالذي يسبح في الماء، ﴿فَالسَّابِقَاتِ﴾ في الإيمان والتصديق بوحدانية الله، ﴿سَبْقًا﴾ أي: الملائكة التي تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ النازلات من السماء بأمر ربها؛ لتدبير شؤون الخلائق.

كل هذا القسم: محذوف الجواب؛ لشدة العلم به، وهو: (لتُبعثُنَّ أيها الناس).

ولكن، متىٰ يكون ذلك؟

إنه يكون: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧﴾

أي: في يوم القيامة.

وذلك ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ تتحرك الأرض حركة شديدة، وتتزلزل زلزالًا هائلًا، عند النفخة الأولىٰ، التي يموت معها كل مَن علىٰ وجه الأرض.

ثم ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ وهي النفخة الثانية، التي يحيا معها كل مَن كان حيًّا قبل ذلك؛ للبعث والحساب.

ولكن ما حال الكفار الذين أنكروا البعث يومئذ؟ الجواب:

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾

يعني: ﴿قُلُوبٌ﴾ لهؤلاء الكفار ﴿يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ خائفة قلقة من هول ما ترىٰ.

﴿أَبْصَـٰرُهَا﴾ أي: أبصار أصحاب هذه القلوب ﴿خَـٰشِعَةٌ﴾ ذليلة.

ولكن ما السبب في خوفهم هذا، وذلتهم التي نزلت عليهم؟

السبب: أنهم في الدنيا كانوا:

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾

يعني: يقولون أنرد بعد الموت إلىٰ ﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾ وهي: الحياة مرة أخرىٰ؟ هذا بعيد ﴿أَءِذَا﴾ متنا و ﴿كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً﴾ بالية: أنحيا من جديد؟ ثم ﴿قَالُوا۟﴾ مستهزئين!! لو حدث هذا: ستكون ﴿تِلْكَ﴾ العودة ﴿إِذًا كَرَّةٌ﴾ عودة ﴿خَاسِرَةٌ﴾ لأننا من أهل النار.

ويرد الله عليهم وعلىٰ كل المكذبين، هذا الاستهزاء، فيقول سبحانه: ليس الأمر صعبًا علينا:

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾

أي: ﴿هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ صيحة واحدة بأمرنا، ﴿فَإِذَا هُم﴾ أحياء مرة أخرىٰ

﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ علىٰ وجه الأرض، في حالة فزع وخوف من شدة الأهوال.

فهل بعد هذا: لديكم استعداد أن تؤمنوا أيها المكذبون؟

وهل بعد هذا: لديكم استعداد أن تتوبوا أيها العصاة؟

ثم يواسي ربنا عز وجل حبيبه علىٰ عناد الكافرين له قائلًا:

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾

إذ ذهب موسىٰ عليه السلام للقاء ربه، فأوحىٰ الله إليه قائلًا:

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾

وذهب موسىٰ إلىٰ فرعون، ومعه من ربه الآيات الدالة علىٰ صدقه في أنه رسول من رب العالمين.

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾

وهي: العصا، التي ابتلعت كل حِيَل سحرة فرعون.

ماذا فعل فرعون؟ يقول ربنا سبحانه:

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾

يعني: ﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعون موسىٰ ﴿وَعَصَىٰ﴾ الله تعالىٰ.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ أي: ترك فرعون موسى، وصار ﴿يَسْعَىٰ﴾ في البحث عمن يُبطل آية موسىٰ هذه.

ولذلك: جمع السحرة ﴿فَحَشَرَ﴾ الناس في مكان كبير، ﴿فَقَالَ﴾ لهم متحدِّياً موسىٰ، ورب موسىٰ سبحانه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وليس لكم رب غيري، كما يزعم موسىٰ، فلا تتأثروا به، ولا تفتنوا بدعوته.

حقًّا: إن هذا قمة الكفر والطغيان.

ماذا حدث لهذا الطاغية؟ يقول القوي العزيز:

﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾

نعم، ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾ وأهلكه بالغرق، وكان هذا الغرق ﴿نَكَالَ﴾ أي عقاب الكلمة ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ هذه، وهي ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ والكلمة ﴿ٱلْأُولَىٰٓ﴾ أيضًا، وهي ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]

حقًا: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

فهل تعتبرون أيها المكذبون؟ وهل تعتبرون أيها العاصون؟

أيها المكذبون بوحدانية الله!! وأيها المعاندون لرسل الله !! أيها البعيدون عن طاعة الله!! أخبروني:

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾

يعني: هل بعثكم أصعب على الله تعالىٰ، الذي فعل بقدرته عز وجل هذه الأشياء؟

علىٰ أية حال ستبعثون:

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾

يعني: ﴿فَإِذَا﴾ بعثتم في يوم القيامة، و ﴿جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ الأحداث والأهوال ﴿يَوْمَ﴾ ذاك: يحدث أمران:

الأمر الأول: ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ إليه وعمله في الدنيا من خير وشر.

الأمر الثاني : ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ إظهاراً بيِّناً لا خفاءَ فيه.

وحينذاك: تختلف مقامات الناس:

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾

اللهم : نجنا من الطغيان، ولا تجعلنا من الذين يؤثرون الحياة الدنيا علىٰ الآخرة يا رب العالمين.

اللهم: اجعلنا من الذين يخافون مقامك، وينهون النفس عن الهوى يا رب العالمين.

اللهم: لا تجعل الجحيم مأوانا، واجعل الجنة هي دارنا ومصيرنا يا رب العالمين.

ثم يقول ربنا لحبيبه ﷺ:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾

أي: يسألك هؤلاء الكفار عن يوم القيامة، قائلين: متى يكون؟

ثم يجيب ربنا عز وجل قائلًا لحبيبه أيضًا:

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾

يعني: ليس لك علم بوقتها، بل علمها عند الله، وأنت لم تبعث لِتُعْلِم بوقتها، بل لتُنذِر وتخوِّف من أهوالها مَن يريد النجاة من شدائدها.

علىٰ أية حال: حينما تقوم الساعة، يصير هؤلاء المكذبون:

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

أي: يندمون عما كان منهم في الدنيا القصيرة، السريعة النهاية.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة عبس

سورة مكية، تبدأ بقول الله تبارك وتعالىٰ:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾

﴿عَبَسَ﴾ النبي ﷺ وقطَّب جبينه غضبًا، ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ مُعرِضًا، وقت ﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ وهو: عبد الله بن أم مكتوم، حيث كان معه ﷺ بعض كبار القوم، يعرِض عليهم الإسلام.

وقد عاتبه ربه سبحانه علىٰ هذا التصرف بقوله:

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾

أي: لم فعلت هذا؟ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ ويتطهر بما سمعه منك، ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ ويتعظ ﴿فَتَنفَعَهُ﴾ هذه ﴿ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾.

و ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ بماله عن الإيمان والهداية، ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ وتهتم به، وهذا: ما كان ينبغي!!

خاصة أنه: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ حيث إن الذي عليك البلاغ فقط.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ في طلب الخير والهداية، ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ الله عز وجل،

ويرجو رحمته، ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ وتتشاغل، ولذلك: كان النبي ﷺ كلما جاءه عبد الله ابن أم مكتوم بعد ذلك يرحب به، ويقول له: «**مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي**».

ثم يكون النهي الإلٰهي للحبيب ﷺ عن فعل مثل ذلك مرة أخرىٰ، مع بيان المولىٰ لفضل القرآن الكريم، إذْ يقول:

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ يعني: لا تَعدُ لمثل ذلك يا محمد، وعلىٰ كل حال ﴿إِنَّهَا﴾ أي: آيات العتاب هذه جاءت في القرآن: ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ يستفيد منها الناس في تحقيق المساواة بينهم.

لذلك: ﴿فَمَن شَآءَ﴾ الهداية، والانتفاع بالقرآن ﴿ذَكَرَهُۥ﴾ وتعلَّمه، واتعظ به، وعمل بأحكامه، خاصة أنه: أي القرآن:

أولًا: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ عند الله.

ثانيًا: هذه الصحف ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ في السماء.

ثالثًا: أنها ﴿مُّطَهَّرَةٍۭ﴾ عن كل دنس، أو زيادة فيها، أو نقص منها.

رابعًا: أنها منسوخة من اللوح المحفوظ ﴿بِأَيْدِى﴾ ملائكة ﴿سَفَرَةٍ﴾ بين الله، وبين خلقه، وهم كِرَامٌ علىٰ ربهم؛ لأنهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

حقًّا: هذا كتاب ينبغي أن يكون هاديًا للخلق في أقوالهم وأفعالهم، فمن اهتدىٰ به: هداه الله، ومَن ضل عنه ، أو عاند: فإن الله يهدِّده بقوله:

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾

﴿قُتِلَ﴾ لعن ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الكافر، ﴿مَآ﴾ الذي ﴿أَكْفَرَهُۥ﴾ وحمله علىٰ هذا العناد، **وعدم الإيمان؟**

هل يدري هذا المعاند ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ ربه؟

إنه سبحانه خلقه ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ ضعيفة، ﴿خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ أي: قدَّر أجله، ورزقه، وعمله، وشقي هو أو سعيد.

﴿ثُمَّ﴾ بعد حياة طويلة، أو قصيرة ﴿أَمَاتَهُۥ﴾ بقدرته ﴿فَأَقْبَرَهُۥ﴾ أي: أمر بدفنه؛ تكريمًا لجسده.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ أي: بعثه بعد موته، وذلك للحساب، والجزاء. فهل اتعظ الإنسان بفعل الله هذا، وآمن به، وعمل بهديه؟

﴿كَلَّا﴾ إنه بالكاد ﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ به ربه من التكاليف، التي كان عليه أن يؤديها.

ومع ذلك: فإن الله ينعم على الإنسان بما يستحق منه سبحانه الشكر عليه، والاعتراف بقدرته سبحانه، حيث يقول المولىٰ عز وجل:

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾

نعم، ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ نظر اعتبار ﴿إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ الذي يأكله؛ ليعرف إنعامنا عليه ذلك: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ﴾ من السحاب؛ لمصلحته ﴿صَبًّا﴾، ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ﴾، بالنبات ﴿شَقًّا﴾، ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ بهذا الماء ﴿حَبًّا﴾ كالقمح وغيره، ﴿وَعِنَبًا﴾، وكذلك ﴿قَضْبًا﴾ وهو علف الدواب، ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۞ وَحَدَآئِقَ﴾ بساتين، أشجارها ﴿غُلْبًا﴾ أي: غليظة كثيرة، ﴿وَفَٰكِهَةً﴾ من كل نوع وطعم، ﴿وَأَبًّا﴾ وهو ما تأكله الدواب. كل ذلك: ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ إنعام من الله عليكم.

فهل اتعظ الإنسان بنعم الله هذه، وشكره سبحانه عليها، وآمن به، وعمل بهديه؟

ثمَّ يبيِّن الله تعالىٰ: حال مَن اتعظ وآمن، وحال مَن لم يتعظ وعاند، وذلك في يوم القيامة، حيث يقول الحق تبارك وتعالىٰ:

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ
﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ
﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

يعني: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ﴾ منتهاها ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ أي: النفخة التي تصم الآذان.

وذلك في يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ﴾ هاربًا ﴿مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ أي: زوجته، ﴿وَبَنِيهِ﴾ لماذا يفر المرء هكذا؟

لأنه: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ﴾ في نفسه ﴿يُغْنِيهِ﴾ يشغله عن غيره.

يومها تكون الخلائق فريقين:

منهم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ مضيئة، ﴿ضَاحِكَةٌ﴾ فرحة ﴿مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ بالنعيم والرضى، أولئك هم: المؤمنون.

ومنهم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ من سوء ما قدَّمت، ﴿تَرْهَقُهَا﴾ تعلوها ﴿قَتَرَةٌ﴾ سواد يجعل منظرها سيئًا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ﴾ في قلوبهم، ﴿ٱلْفَجَرَةُ﴾ في أعمالهم.

اللهم اجعل وجوهنا ﴿يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾، ولا تجعل وجوهنا ﴿يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾، ولا ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ بفضلك يا رب العالمين، اللهم آمين.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التكوير

وهي سورة مكية، تتحدث عن القيامة، وحقيقة الوحي، وتبدأ بقوله الله عز وجل:

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾﴾

نعم، إذا حدث هذا، فقد قامت القيامة.

يعني: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ لفَّت بعضها علىٰ بعض، وذهب ضوؤها!! ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ أي: تساقطت من أماكنها!! ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ من أماكنها، ونُسِفت وصارت هباءً منبثًا!! و ﴿إِذَا﴾ الإبل ﴿ٱلْعِشَارُ﴾ أي: الحوامل ﴿عُطِّلَتْ﴾ ولم يصبح لها قيمة، ولم تعد الأموال تنفع أصحابها!! ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ﴾ وجميع الحيوانات والحشرات جُمِعت، و ﴿حُشِرَتْ﴾ ليقتص لها من بعضها البعض!! ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ﴾ كلها ﴿سُجِّرَتْ﴾ أي: فجرت وفتحت علىٰ بعضها البعض، وأوقدت، فصارت نارًا!! ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ﴾ بأبدانها ﴿زُوِّجَتْ﴾ أي: ركبت!! ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ التي قتلها أهلها ﴿سُئِلَتْ﴾ تهديدًا لقاتلها ﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾؟!! ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ﴾ التي فيها

أعمال الخلائق ﴿نُشِرَتْ﴾ فتحت، وظهر للخلائق ما فيها!! ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ وأزيلت من أماكنها!! ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أوقدت بالنار الشديدة!! ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي: قربت من أهلها المتقين؛ ليدخلوها.

إذا وقعت هذه الأشياء يوم القيامة:

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾

أي: ﴿عَلِمَتْ﴾ كل نَفْسٍ حينئذ ﴿مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ أي: ما كتب في صحائفها من خَير الأعمال وشرها.

ولهذا ينبغي علىٰ كل إنسان: أن يحذر هذا الموقف، وذلك: بالاستعداد بفعل الخير، والابتعاد عن فعل الشر.

ولكي نعرف طريق الخير، فنسير فيه، وطريق الشر فنبتعد عنه؛ علينا بالقرآن الذي يُقسم عليه ربنا في قوله:

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾

يعني: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ * ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ وهي الكواكب السيارة التي تظهر وتختفي، وتأتي وتغيب.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أقبل بظلامه، أو أدبر.

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي: أضاء.

هذا هو المعنىٰ، ولكن ما جواب هذا القسم؟

الجواب: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ مَن هو هذا الرسول الكريم؟

إنه: جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

كيف يكون القرآن قول جبريل عليه السلام؟

يعني: هو الذي نزل به من عند رب العالمين، وبلَّغه لمحمد ﷺ.

جبريل هذا يقول عنه رب العزة:

﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾

يعني: ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ صاحب قدرة كبيرة علىٰ فعل ما يُكَلف به، وهو ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ سبحانه وتعالى ﴿مَكِينٍ﴾ في مكانته، رفيع في منزلته، ﴿مُّطَاعٍ﴾ من أفراد الملائكة ﴿ثَمَّ﴾ هو: هناك في عالم الملائكة ﴿أَمِينٍ﴾ علىٰ وحي الله تعالىٰ لرسله.

وبالنسبة لمن نزل عليه القرآن عليه الصلاة والسلام، فيقول رب العزة:

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

أي: ﴿وَمَا﴾ محمد ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ الذي تعرفونه جيدًا ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما تزعمون أيها الكفار.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ أي رأى محمد ﷺ جبريل عليه السلام ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ الواضح، وذلك علىٰ صورة الملائكة عند بدء الوحي.

﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ أي: الوحي ﴿بِضَنِينٍ﴾ ببخيل يمسك به ولا يبلغه، بل هو: أمين أمين أمين.

لذا: ينبغي تصديقه، والإيمان به، واتباع ما يبلغ به عن ربه عز وجل.

هذا الذي يوحى إليه، ويبلِّغه: هو القرآن، من عند رب العالمين.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

إذًا!! ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾

أي: ماذا تقولون؟ وأين تذهب عقولكم في شأنه؟

علىٰ أية حال:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾

أي: ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ وموعظة ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ ينتفعون به، ويتعظون.

ومن هنا: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ﴾ الهداية والنجاة، عليه ﴿أَن يَسْتَقِيمَ﴾ علىٰ تعاليمه، وآدابه، وأحكامه.

واعلموا جيدًا أنه:

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

دون إكراه لكم ولا إجبار.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانفطار

وهي سورة مكية، تتحدث عن القيامة والعتاب لهذا الإنسان الذي لا يشكر المنعم، ولا يعرف لربه قدره، وعلة تكذيب هذا الإنسان بيوم الحساب، وعن يوم الحساب.

وتبدأ السورة بقوله عز وجل:

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤﴾

نعم، إذا حدث هذا، فقد قامت القيامة.

يعني: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ أي: انشقت.

﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ أي: تساقطت من أماكنها.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾ أي: فتحت على بعضها البعض، وصارت بحرًا واحدًا، واختلط العذب بالمالح.

و ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾ أي: فتحت، وقلب ترابها، وبعث موتاها.

نعم، إذا وقعت هذه الأشياء يوم القيامة:

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥﴾

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ﴾ أي: علمت كل نفسٍ حينئذٍ ﴿مَا قَدَّمَتۡ﴾ من طاعة ﴿وَأَخَّرَتۡ﴾

ولهذا: ينبغي على كل إنسان، أن يحذر هذه المواقف، وذلك: بالاستعداد بفعل الخير، والابتعاد عن فعل الشر طاعة لله تعالى.

إذْ في هذا اليوم يقول الله لهذا الإنسان:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾

يهدد الله الإنسان الكافر قائلًا: ﴿مَا﴾ الذي ﴿غَرَّكَ﴾ أي: جرَّأك علىٰ المعصية، وخدعك ﴿بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ العظيم، حتىٰ عصيته؟

خاصة أنه سبحانه: هو ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ بعد أن لم تكن، ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ جعلك مستوي الخلق، سالم الأعضاء ﴿فَعَدَلَكَ﴾ جعلك في أحسن الهيئات والأشكال.

وذلك ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ﴾ سبحانه بقدرته ﴿رَكَّبَكَ﴾ من الصور المختلفة.

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: «غرّه والله جهله».

ويقول الحسن رضي الله عنه: «غرّه والله شيطانه الخبيث؛ حيث زيّن له المعاصي، وقال له: افعل ما شئت، فربك الكريم الذي تفضل عليك أولًا، وسيتفضل عليك آخرًا، حتىٰ ورّطه».

ولكن: ما الذي أدىٰ ـ حقيقة ـ بالإنسان إلىٰ هذا الاغترار علىٰ هذا النحو الفاحش؟.

الجواب: يقول الله تعالىٰ:

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن الاغترار، مع بيان أن السبب الحقيقي لهذا الاغترار الذي دفعهم للكفر والعصيان: هو التكذيب بيوم الدين ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ وهو الجزاء في يوم القيامة. علىٰ أية حال أنتم تكذبون:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

نعم، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ﴾ من الملائكة ﴿لَحَٰفِظِينَ﴾ لأعمالكم وأقوالكم.

مع كونهم ﴿كِرَامًا﴾ علىٰ الله تبارك وتعالى ﴿كَٰتِبِينَ﴾ لكل ما يصدر عنكم.

وهم ﴿يَعْلَمُونَ﴾ بإعلام الله لهم ﴿مَا تَفْعَلُونَ﴾ لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم.

وفي هذا: تهديد وتخويف من العصيان، ودعوة للطاعة والإيمان، وتذكير بيوم القيامة وأحواله وأحوال الناس فيه.

نعم، أحوال الناس، الذين ينقسمون فيه إلىٰ قسمين:

يقول الله تعالىٰ:

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾﴾

يبيِّن الله في هذه الآيات: مصير **القسم الأول**، وهم المتقون الطائعون، فيقول: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ الجنة.

ثم يبيِّن سبحانه: مصير **القسم الثاني**، وهم الكفار العصاة، فيقول: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ النار.

هؤلاء الكفار: ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يعني: يدخلونها، ويقاسون حرّها ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ أي: يوم الجزاء. ﴿وَمَا هُمْ﴾ في الوقت ذاته، وعلىٰ هذا الحال ﴿عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ لا بالهروب، ولا بالموت، بل هم فيها خالدون.

كل ذلك في يوم القيامة، الذي هو يوم الدين.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ وما أعلمك ﴿مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ وما فيه!!

﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ وعظمته، وشدته!!

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ﴾ فيه ﴿نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ ولو كان ذا قربىٰ، ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ﴾ كما هو في كل وقت ﴿لِّلَّهِ﴾ وحده، لا معقِّب لحكمه، ولا رادّ لقضائه.

* * *